الموازنة بين كتابي الأدب للإمام البخاري « دراسة وصفية تحليلية »

* د. صالح الأمين محمد الماعزي

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى استخراج نتائج الموازنة بين كتابين عظيمين للإمام البخاري هما: كتاب الأدب من الجامع الصحيح، وكتاب الأدب المفرد. بيَّنت الدراسة علاقة الكتابين كل منهما بالآخر.
وأوصت الدراسة بمزيد العناية بهما علماً وعملاً تدريساً ودراسة كي يكونا منهج حياة المسلمين.
وخلُصت الدراسة إلى ذكر سبب تأليف الإمام البخاري لكتاب مستقل عن الأدب مع وجود كتاب الأدب ضمن كتب الجامع الصحيح.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فمن المعلوم أن الأدب والأخلاق هما من دعامات بناء المجتمعات الإنسانية، وهما من لب الشرائع، وقد اهتم المحدثون بهذا الجانب العظيم، لقوله: « إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق »، وصنفوا في الأدب المصنفات، ولكي تفهم مصنفات القوم فهما جيدا علينا أن نعرف مناهجهم فيها، فلهذا كان مني هذا البحث، الذي عنوانه: (الموازنة بين كتابي الأدب للإمام البخاري) تحدثت فيها عن منهج الإمام البخاري في كتابيه، مع الموازنة بينهما.

سبب اختيار الموضوع:

معرفة منهج الإمام البخاري في كتابي الأدب، مع الموازنة بينهما.

مشكلة البحث:

1. لماذا ألف البخاري كتاب الأدب المفرد مع وجود كتاب الأدب في صحيح؟
2. هل منهج الكتابين واحد؟ وما شرطه فيهما وهل التزم به؟

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة تناولت المقارنة والموازنة بين الكتابين، ولكنني وجدت دراسة لمنهج الإمام البخاري في الصحيح بصفة عامة وذلك ضمن كتب مناهج المحدثين، وغيره من الكتب، وبالنسبة لكتاب «الأدب المفرد» فقد وجدت رسالة "ماجستير" قد تناول فيها صاحبها منهج الإمام البخاري فيه لكن الدراسة – في رأيي- تفتقر للعمق المطلوب.

*مدرس الحديث الشريف بكلية الدراسات الإسلامية – سبها. ALMAZEE80@GMAIL.COM

المنهج المتبع:

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي مع الاستقراء، كل ذلك مع الموازنة، وهذه هي غالبا طبيعة دراسة مناهج الكتب.

خطة البحث:

جعلت لهذا البحث خطة؛ كي يكون منظما منسقا تنساب فيه الأفكار، وتتسلسل، فجاء في مبحثين:

المبحث الأول: نبذة عن الإمام البخاري وكتابيه الأدب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان أدب الإمام البخاري وورعه من خلال سيرته.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن كتابي الأدب.

المطلب الثالث: بيان سبب التسمية والتأليف.

المطلب الرابع: شرط الكتابين ومدى التزام الإمام البخاري به.

المبحث الثاني: منهج الكتابين مع الموازنة بينهما، وخدمة العلماء لهما، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان منهج الإمام البخاري في فقه التراجم.

المطلب الثاني: منهج الإمام البخاري في الأسانيد والحكم عليها.

المطلب الثالث: خلاصة الموازنة بين الكتابين.

المطلب الرابع: خدمة العلماء لهما، وما وجه لهما من نقد وجواب ذلك.

وأخيرا أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفع بهذا البحث.

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول: نبذة عن الإمام البخاري وكتابيه الأدب

المطلب الأول: بيان أدب الإمام البخاري وورعه من خلال سيرته

من المعلوم أن الأعلام لا تعرف وخصوصا إن كان في شهرة الإمام البخاري هذا الرجل العظيم الذي حق فيه وصف الحافظ ابن حجر حيث قال: « محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري: جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث من الطبقة (11) توفي سنة (256هـ) في شوال وله (62) سنة ».(1)

(1) « تقريب التهذيب » ، ص (468).

لذلك لن أعرج على سيرته التي كتبت فيها الكتب وسارت بها الركبان، ولكنني سأعرج على بعض من أدبه وورعه كما جاء في سيرته.

قال الإمام الذهبي- رحمه الله: «وورد أن البخاري كان شديد الحياء، قال ابن سلام: أترون البكر أشدّ حياءً من هذا؟ (2). وقال: وقد لسعه زنبور سبع عشرة مرة وهو يصلي، وما قطع الصلاة، وكذا نقلها ورَّاقه، قال: وتورَّم جسده من ذلك(3).وقال: «قال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: "أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا"(4)

ثم قال – أي الذهبي- : صدق – رحمه الله –، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا.(5)

وقَلّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث. حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً..(6)

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعته – يعني البخاري – يقول: « لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك في كتاب " التاريخ " ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية لم نقله من عند أنفسنا، قال النبي " :بِئْسَ مَوْلَى العَشِيرَةِ " يعني: حديث عائشة» .(7)

وسمعته يقول: «ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها» .(8)

وقال الفَربريّ – أحد رواة الصحيح –: «قال لي البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل

(2) « جزء فيه ترجمة البخاري »، ص (48)، و« سير أعلام النبلاء » (12 / 418).

(3) « جزء فيه ترجمة البخاري »، ص (54).

(4) « سير أعلام النبلاء » (12 / 439 - 441).

(5) « سير أعلام النبلاء » (12 / 441).

(6) « سير أعلام النبلاء » (12 / 441).

(7) صحيح البخاري كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا، برقم (6032) وصحيح مسلم كتاب البر والصلة: باب: مداراة من يتقى فحشه، برقم (2591) ولفظه في البخاري عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :« يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ.«

(8) الذهبي « سير أعلام النبلاء » (12/ 441).

ذلك، وصليت ركعتين». ونقل عمر بن محمد البَجِيري عنه أنه قال: « ما أدخلت فيه – أي الصحيح – حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته ».(9)

وقال الخطيب البغدادي – رحمه الله: « ... سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين» .(10)

ومن كان شديد الحياء مع الناس، يحسب كلامه من عمله، شديد الحرص والأدب في حديث رسول الله ؛ كان ظاهرا أنه شديد الأدب والورع والخوف من الله كما هو معلوم.

ومن هنا يظهر تأثر الإمام البخاري بالإمام مالك بن أنس – رحمهما الله– فقد حدث لمالك أمر مشابه لأمر الزنبور عند البخاري وهو حادثة العقرب.

قال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة، ومالك يتغير لونه ويصبر، ولا يقطع حديث رسول الله ، فلما فرغ من المجلس، وتفرق الناس، قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً قال: إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله .(11)

وكان الإمام مالك شديد الأدب في حديث رسول الله أيضا، وقد تأثر الإمام البخاري به في ذلك كما مر بك في أمر الاغتسال والصلاة ركعتين .

ولعل ذلك كان من أسباب إكثار الإمام البخاري الرواية عن الإمام مالك في الصحيح وتسميت سند « مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما » بسلسلة الذهب(12)، والله أعلم.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن كتابي الأدب

ضمّن الإمام البخاري – رحمه الله – كتابه الصحيح كتابا سماه (كتاب الأدب) وهو الكتاب (78) من الجامع الصحيح، يأتي بعد كتاب اللباس وقبل كتاب الاستئذان، ومناسبة ذكره بين هذين الكتابين، تظهر في أنه: «لما انقضى الكلام على المأكولات والمشروبات وما يزيل الداء المتولد منها أردف بكتاب اللباس والزينة وأحكام ذلك والطيب وأنواعه

(9) النووي « تهذيب الأسماء واللغات » (1/ 74)، صلاح الدين الصفدي « الوافي بالوفيات » (2/ 149)، السبكي « طبقات الشافعية الكبرى » (2/ 220)، اللقاني « بهجة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل » (1/ 83)، عبد المحسن العباد « الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح » ، ص (39).

(10) « تاريخ بغداد » (2/ 327).

(11) عياض « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » (2/ 16).

(12) الزركشي « النكت على مقدمة ابن الصلاح » (140/1)، السيوطي « تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» (1/ 78)، نور الدين عتر « منهج النقد في علوم الحديث »، ص (248).

وكان كثير منها يتعلق بآداب النفس فأردفها بكتاب الأدب والبر والصلة والاستئذان » هكذا قال الإمام البُلْقيني – رحمه الله(13). وفي كتاب الأدب (**128**) بابا اشتملت من الأحاديث المرفوعة على (**256**) حديثا، المعلق منها (**85**) حديثا. المكرر منها في الكتاب وفيما مضى (**201**) حديثا، وفيه من الآثار عن الصحابة ومن بعدهم (**11**) أثرا بعضها موصول وبعضها معلق .(14)

ولم يكتف الإمام البخاري بذلك حتى أفرد للأدب كتابا مستقلا سماه: « الأدب المفرد »، وهو جزء حديثي لطيف لم يقدم له بمقدمة كعادته في مصنفاته(15)، وقد اشتمل على أحاديث زائدة على ما في كتاب الأدب من الصحيح، وفيه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة(16)، فيه من الأبواب (**644**) بابا اشتملت من الأحاديث المرفوعة والموقوفة على (**1322**) حديثا وأثرا ، بترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي – رحمه الله، بينما بلغ عدد أحاديث « صحيح الأدب المفرد للألباني » بترقيمه أيضا، (**994**) حديثا وأثرا وبعضها مكرر، وعدد الأحاديث والآثار الضعيفة في « ضعيف الأدب المفرد » (**219**) حديثا وأثرا .(17)

وقد روى الأدب المفرد عن الإمام البخاري: أحمد بن محمد بن الجليل البزار.(18)

فجاء فريدا في نوعه، جامعا للآداب الإسلامية، فهو بحق موسوعة إسلامية في الآداب، جدير بكل مسلم أن يقتنيها لينتفع بما يحويه من كنوز نبوية شريفة ... تناول فيه الآداب الشرعية الواردة في السنة النبوية.(19)

المطلب الثالث: بيان سبب تسمية الكتابين وتأليفهما

أولا – سبب تسمية الكتابين.

1-السبب العام.

(13) ابن حجر «هدي الساري لمقدمة فتح الباري»، ص (472)، عبد الحق المكي «عادات الإمام البخاري في صحيحه»، ص (107).

(14) ابن حجر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (10/ 613).

(15) منها: « الجامع الصحيح » صحيحه المشهور به، و« كتاب قرة العينين برفع اليدين في الصلاة »، و« كتاب خلق أفعال العباد »، و« جزء القراءة خلف الإمام ». فكلها من غير مقدمة.

(16) ابن حجر العسقلاني « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (17/ 87).

(17) محمد ناصر الدين الألباني: « صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري »، ص (7).

(18) صديق حسن خان « الحطة في ذكر الصحاح الستة » ، ص (241).

(19) الكتاني « الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة »، ص (53)، حاجي خليفة « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » (1/ 48)، الجيلاني « فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد » المقدمة، ص (28)، أبو بكر كافي « منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح» ، ص (45).

يرجع سبب تسمية الكتابين بالأدب(20)، لاشتمالهما على أحاديث وآثر فيها الحث على التخلق بالآداب الفاضلة والصفات الخيرة، وجدير بالذكر أن الأدب هنا أعم من الأدب مع الناس بعضهم مع بعض بل هو بالمفهوم الشامل لمعنى الكلمة. ففي بعض الأحاديث الحث على الأدب مع الله ومنها الحث على الأدب مع النبي ومنها الحث على الأدب مع الوالدين والجيران والناس على وجه العموم.

2-السبب الخاص.

وسبب تسميت أحدها بـ« الأدب المفرد » هو التمييز بينه وبين كتاب الأدب في الجامع الصحيح، أي احترازا عنه .(21)وقد جاء في « الموسوعة الحرة » (ويكيبيديا) أن الإمام البخاري قد ضمن صحيحه كتابا للأدب وهو الكتاب الثامن والسبعون من صحيحه، لكنه لم يكتف بذلك حتى أفرد للأدب كتابا مستقلا سماه: "جزء في الأدب"، وسمي الكتاب متأخرا بالأدب المفرد وهو خطأ في التسمية وجد على غلاف بعض النسخ الخطية للكتاب.(22)

وهذا الكلام عار عن الصحة، فإن كثيرا من أهل العلم عموما والمحدثين خصوصا صرحوا باسمه وأنه موسوم بالأدب المفرد، منهم على سبيل المثال لا الحصر الإمام أبو بكر بن العربي (543هـ) فقد ذكره بهذا الاسم في كتابه « العواصم من القواصم »(23)، وكذلك ذكره بهذا الاسم أيضا الحافظ ابن حجر (**852** هـ) في كتابيه « فتح الباري شرح صحيح البخاري » و« النكت على كتاب ابن الصلاح »(24)، وغيرهم كثير قد ذكره باسم « الأدب المفرد »، ولم يرد عن أحد منهم – فيما أعلم – أنه شكك في هذا الاسم، والله أعلم.

ثانيا – سبب تأليف الكتابين.

1-كتاب الأدب في الجامع الصحيح.

سبب تأليف كتاب الأدب في الجامع الصحيح هو سبب تأليف كل كتاب من كتب الصحيح، ومرد تأليفها إلى أن الإمام البخاري قد سمى كتابه بـ« الجامع المسند الصحيح المختصر من أحاديث رسول الله وسننه وأيامه »(25).

(20) (أدب) الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه: والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه. ابن فارس « معجم مقاييس اللغة » (1/ 91)، ابن حجر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (10/ 400).

(21) الكتاني « الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة »، ص (53).

(22) الموسوعة الحرة // الرابط : http://ar.wikipedia.org

(23) ص (263).

(24) ص (204).

(25) النووي « تهذيب الأسماء واللغات » (73/1) وفيه (من أمور رسول الله) بدل من (أحاديث رسول الله).

ولا يسمى الكتاب جامعا حتى يحتوي على كل أمور الدين من عقائد وأحكام وأخلاق، ولذلك كان كتاب الأدب وغيره من الكتب ضمن كتاب الصحيح الجامع.

2-كتاب الأدب المفرد.

وأما سبب تأليف كتاب الأدب المفرد مع أنه قد كتب كتاب الأدب في الجامع؛ فلأنه أراد أن يذكر من الأحاديث والآثار في الأدب الشيء الكثير مما ليس من الدرجة العليا من الصحيح، بل ولا من الحسن لاشتمال الأدب المفرد على الأحاديث الضعيفة كما سيأتي.

ولما كانت الآداب والأخلاق تقود إلى التمسك بالدين كله. وأن كل ما وقع فيه المسلمون من الأمراض والضعف والخور والتخاذل، مرده لبعدهم عن حقيقة الإسلام، وأن معرفة الآداب النبوية الصحيحة في العبادات والمعاملات، والإقامة، والسفر، والمعاشرة، ... واليقظة والنوم، والأكل والشرب، والكلام والصمت... وغير ذلك، مما يعرض للإنسان في حياته، والعمل بها ما أمكن، هو الدواء الوحيد لتلك الأمراض.(26)

ولما كانت الآداب أيضا هي أساس الدعوة إلى الله تعالى وقوام البشرية جرد الإمام البخاري كتابا فيه زوائد على ما في الصحيح بل فيه زوائد على الكتب الستة(27)، ولم يذكرها هناك كي لا يخرج عن شرطه في الصحيح؛ وذكرها هنا ولم يبين درجتها لسببين:

الأول: أنه قد أسندها ومن أسند فقد أحالك على إسناده، والنظر في أحوال رواته والبحث عنهم، ومن أرسل [أو علق] مع علمه ودينه وإمامته وثقته، فقد قطع لك بصحته، وكفاك النظر فيه، كما هو معروف.(28)

الثاني: أن العلماء يتساهلون في الفضائل بخلاف الأحكام، وقد ثبت عن الإمام أحمد، وابن مهدي، وابن المبارك، وغيرهم من الأئمة – رحمهم الله جميعا – أنهم قالوا: « إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال، تساهلنا في الأسانيد والرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الرجال ».(29)

(26) مقدمة الشيخ عبد الرحمن المعلم اليماني – رحمه الله – لكتاب الأدب المفرد للإمام لبخاري.

(27) رسالة ماجستير « زوائد كتاب الأدب المفرد على الكتب الستة » لصالح إسماعيل، في جامعة أم القرى.

(28) السخاوي « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (176/1). السيوطي « تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» (1/ 198). القاسمي « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث »، ص (134- 135). أبو شُهبة « الوسيط في علوم ومصطلح الحديث »، ص (283). وما بين [ ] زيادة من الباحث.

(29) الحاكم « المدخل إلى كتاب الإكليل » ، ص (29). الخطيب البغدادي « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (2/ 91). ابن حجر « القول المسدد في الذب عن مسند أحمد »، ص (11- 12). السيوطي « تدريب الراوي » (1/ 298). صبحي الصالح « علوم الحديث ومصطلحه »، ص (211).

ومن أسباب تأليفه كتاب « الأدب المفرد » أيضا أنه يبين به الأسماء المهملة والمبهمة في الأسانيد وكذلك يوضح به غريب بعض الكلمات ويكمل فيه بعض الروايات المختصرة في الصحيح بصفة عامة ويغلق به بعض الأحاديث المعلقة إلى غير ذلك من الفوائد والفرائد الأخرى فهو على الأغلب كالشرح والتفسير لبعض لكتاب الجامع الصحيح جملة وكتاب الأدب ولاستئذان في الصحيح على وجه الخصوص كما سيأتي ترجيح ذلك إن شاء الله تعالى.

ولعل هذا هو سبب كثرة نقول الحافظ ابن حجر منه في شرحه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، فقد ورد ذكره في الشرح قرابة (140) مرة.

وخلاصة القول هنا أن منهج الإمام البخاري في كتاب الأدب الذي في الصحيح كان مبنيا على الكيف، أما منهجه في الأدب المفرد فقد كان مبنيا على الكم فحوى الصحيح والحسن والضعيف، والله أعلم.

المطلب الرابع: شرط الكتابين ومدى التزام الإمام البخاري به

أولا- شرطه في كتاب الأدب في الجامع الصحيح.

شرط الإمام البخاري في كتاب الأدب من الصحيح هو شرطه العام في كل كتابه الجامع الصحيح فقد بين بالنص أن كتابه الجامع الصحيح توفرت في كل أحاديثه شروط الحديث الصحيح، حيث قال: « ما أدخلت في كتب الجامع إلا ما صح »، وهو ظاهر أيضا من عنوان كتابه، وهذا الشرط قد عرف بالاستقراء.(30)

وقد روى الحافظ ابن حجر بسنده إلى الحافظ ابن طاهر المقدسي أنه قال:« شرط البخاري أن يخرّج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلا غير مقطوع ... وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق إليه كفى»(31). هذا هو شرطه العام وقد شاركه فيه غيره.

أما شروطه الخاصة فخلاصتها في الرجال: أنه يخرج أحاديث الطبقة الأولى، وقد يخرج من الثانية انتقاء(32)، وأما السند المعنعن فشرطه فيه أن يلتقي المعنعن عن من عنعن عنه ولو مرة واحدة ولا يكتفي بمطلق المعاصرة مع إمكان اللقاء .(33)

ثانيا- شرطه في كتاب « الأدب المفرد ».

(30) ابن الصلاح « علوم الحديث »، ص (26). العباد « الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح »، ص (16). أمين القضاة « دراسات في مناهج المحدثين »، ص (34). البقاعي « مناهج المحدثين العامة والخاصة »، ص (92).

(31) ابن حجر « هدى الساري لمقدمة فتح الباري »، ص (9). ابن حجر « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر »، ص (63).

(32) قسم الإمام الحازمي – رحمه الله – الرواة عن المكثرين إلى خمس طبقات: فجعل الطبقة الأولى من كانوا متقنين مع طويل الملازمة للشيخ، والثانية من كانوا متقنين مع قصر الملازمة، والثالثة من كانوا غير متقنين مع طول الملازمة، والرابعة من كانوا غير متقنين مع قصر الملازمة، والخامسة من كانوا من الضعفاء والمجاهيل. ينظر: كتاب « شروط الأئمة الخمسة »، ص (151- 153). بتصرف

(33) ابن حجر « هدى الساري لمقدمة فتح الباري »، ص (9). ابن حجر « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر »، ص (63).

إن كان الإمام البخاري قد صرح بشرطه العام في كتابه الأدب في الصحيح، وقد عرف هذا الشرط بالاستقراء أيضا، فإنه هنا في كتابه « الأدب المفرد » لم يصرح بشيء من ذلك، ولم يلمح، والله أعلم.

ولكن بالنظر إلى أسانيد الكتاب يظهر جليا أنه – رحمه الله – لم يشترط الصحة وقد بين ذلك الحافظ ابن حجر في استشهاده بأحاديث « الأدب المفرد » حيث يقول أحيانا: « ... وأخرج البخاري في " الأدب المفرد " بسند صحيح عن أبي جمرة بالجيم " سمعت ابن عباس [رضي الله عنهما] إذا شمت يقول: عافانا الله وإياكم من النار، يرحمكم الله"».(34)

ويقول: « وأخرج أحمد والبخاري في " الأدب المفرد "بسند صحيح عن أنس قال:" آخى النبي بين ابن مسعود والزبير " والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة، وذكر غير واحد أنه آخى بين أصحابه مرتين مرة بين المهاجرين فقط ومرة بين المهاجرين والأنصار».(35)

ويقول: « وأخرج البخاري في "الأدب المفرد " بسند صحيح عن ابن عمر" إذا سلمت فأسمع فإنها تحية من عند الله".(36)

قلت: فلما كان الحافظ قد ذكر أن هذه الأحاديث صحيحة السند فهم منه أن هناك أحاديث غير صحيحة فإما أن تكون حسنة أو ضعيفة، وقد بين ذلك بقوله في بعض الأحيان: « وأخرج أحمد والبخاري في "الأدب المفرد "بسند حسن عن جابر قال: "كنا مع النبي ، فهاجت ريح منتنة فقال النبي هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين "»(37). وقوله: « ... لفظ الترجمة فأخرجه في " الأدب المفرد " من حديث أنس بسند حسن وزاد " وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم"».(38)

ويقول: « ... وللمصنف أيضا في "الأدب المفرد " والطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: "إذا عطس الرجل فقال: الحمد لله! قال الملَك: رب العالمين ، فإن قال: رب العالمين ؟ قال الملَك: يرحمك الله ".(39)

(34) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (كتاب الأدب ، باب إذا عطس كيف يشمت) (17/ 439).
(35) « المصدر السابق » (كتاب الأدب ، باب الإخاء والحلف) (17/ 254).
(36) (كتاب الاستئذان ، باب إفشاء السلام) (17/ 456).
(37) (كتاب الأدب ، باب الغيبة وقول الله تعالى : (وَلَا يَغْتَبْ بَّعْضُكُم بَعْضاً) الآية (17/ 207).
(38) « فتح الباري » (كتاب الاستئذان ، باب السلام اسم من أسماء الله تعالى) (17/ 448).
(39) « المصدر السابق » (كتاب الأدب ، باب الحمد للعاطس) (17/ 432).

فهذه كلها قرائن تبين أن الإمام البخاري لم يشترط الصحة في كتابه « الأدب المفرد »، ولكنه اشترط أن لا يكون الحديث شديد الضعف قد اتهم راويه بأمر كبير، وقد ظهر ذلك من خلال كتاب الشيخ الألباني «ضعيف الأدب المفرد» فلم يرد في الكتاب أي حديث موضوع أو متروك بل لم يرد أقل من الضعيف، وتوجيه ورود الضعيف قد مر بك. إلا أنه في تخريجه وتعليقاته على كتاب « الأدب المفرد » حكم على حديث واحد بأنه (ضعيف جداً) وهو الحديث الذي أخرجه البخاري في (باب إن الغنم بركة) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ الْأَزْرَقُ، عَنْ أَبِي عُمَرَ، عَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، عَنْ عَلِيٍّ ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «الشَّاةُ فِي الْبَيْتِ بَرَكَةٌ، وَالشَّاتَانِ بَرَكَتَانِ، وَالثَّلَاثُ بَرَكَاتٌ .(40)

وقد أورده الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه « الجامع الصغير من حديث البشير النذير » وعزاه للإمام البخاري في كتاب «الأدب المفرد» من حديث علي ، ورمز له بالحسن(41). وعندي أن الحديث ليس شديد الضعف وقرينة ذلك أنه بوب له بابا كما مر بك، وإن صح حكم الشيخ الألباني بأنه ضعيف جدا فلا يطعن في شرط البخاري في كتاب « الأدب المفرد » وهو أنه لا يخرج حديث من كان شديد الضعف. فصح أن يقال: إن نسبة التزامه بشرطه في كتابه قد تصل إلى (98%) تقريبا، والله أعلم.

وخلاصة القول فإن الظاهر من فعل الإمام البخاري – رحمه الله – أنه يخرج في كتاب « الأدب المفرد » أحاديث الطبقات الثلاث الأولى باستيعاب وأحاديث الطبقة الرابعة انتقاء، ولا يعرج على أحاديث الطبقة الخامسة، وهم من كانوا من الوضاعين المتروكين والمجاهيل(42)، والله أعلم.

المبحث الثاني: منهجه في الكتابين مع الموازنة بينهما، وخدمة العلماء لهما

المطلب الأول: بيان منهج الإمام البخاري في فقه التراجم

الترتيب والتنسيق أول ما يواجه قارئ الكتاب ويلفت نظرة وانتباهه، فطريقة العرض لها قيمة بالغة في رفع شأن الكتاب، وأثر عظيم في انتفاع القارئ به، فجمع المؤلف الأحاديث المتعلقة بكل موضوع في مكان واحد، ثم وضع عناوين عليها ترشد القارئ، تسمى التراجم التي عَلَى الأبواب(43)، وهي أنواع منها: « التراجم الظاهرة — التراجم

(40) « الأدب المفرد »، ص (205) ، برقم (573).

(41) (2/ 19) برقم (4921) فصل (في المحلى بأل من حرف الشين).

(42) الطبقة الأولى من كانوا متقنين مع طويل الملازمة للشيخ، والثانية من كانوا متقنين مع قصر الملازمة، والثالثة من كانوا غير متقنين مع طول الملازمة، والرابعة من كانوا غير متقنين مع قصر الملازمة. ينظر: ابن حجر: هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري (ص 9 – 10).

(43) نور الدين عتر « الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين »، ص (381)، و« الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح »، ص (69). أمين القضاة، وعامر حسن صبري « دراسات في مناهج المحدثين »، ص (36).

الاستنباطية – التراجم المرسلة – » وسأوازن بينها في الكتابين ببعض الأمثلة غير أنني سألغي النوع الثاني وهي (التراجم الاستنباطية) لكثرتها، وسأذكر بدلا منها نماذج من النوع الذي تكرر في الكتابين وهي (التراجم المتشابهة)، والتي تظهر فيها الموازنة بشكل كبير.

أ- التراجم الظاهرة.

وهي التي يدل عليها الحديث دلالة ظاهرة واضحة ولا تحتاج إلى نظر وإعمال فكر، وللإمام البخاري في هذا النوع من التراجم مسالك عدة منها:

1. الترجمة بصيغة الاستفهام .

وهي ترجمة مصدرة بحرف استفهام مثل: «هل، أو أين، أو كيف» والظاهر من أمر الإمام البخاري أنه يأتي بهذا النوع من الترجمة للفت نظر القاري إلى أهمية هذه المسألة وذلك لسببين:

– إما لأنها من المسائل الخلافية التي تحتاج إلى بحث، وترجيح ويكون اختيار الإمام البخاري هو ما ساقه من الحديث؛ لأن دلالته ظاهرة في الجواب على السؤال.

– وإما لأنها موضع اتفاق بين العلماء ويكون المقصود إثارة الانتباه لمعرفة دليل هذه المسألة.(44)

أولا- الترجمة بصيغة الاستفهام في كتاب الأدب من الجامع الصحيح.

بالاستقراء التام وجدت فيه ثلاث تراجم فقط بصيغة الاستفهام:

الأولى: في باب (كيف يكون الرجل في أهله ؟) وقد أخرج فيه حديثا عن الأسود قال سألت عائشة – رضي الله عنها-: ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت: «كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ.(45)

الثانية: في باب (هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشيا ؟) وقد أخرج فيه حديثا عن عروة بن الزبير أن عائشة – رضي الله عنها- زوج النبي قالت: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل: هذا رسول الله في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر: ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قال » :إِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي بِالخُرُوجِ .(46)

(44) « الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح »، ص (32 ، 33). و« دراسات في مناهج المحدثين»، ص (38). الشمالي « الواضح في مناهج المحدثين»، ص (114).

(45) « صحيح البخاري » الحديث رقم (5692).

(46) « صحيح البخاري » الحديث رقم (5729).

الثالثة: في باب (إذا عطس كيف يشمت ؟) وقد أخرج فيه حديثا عن أبي هريرة: عن النبي قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ.

ولعل سبب ندرة هذا النوع من التراجم في كتاب الأدب من الصحيح أن الأحاديث التي اختلف فيها أهل العلم ليست على شرطه، أو أن الخلاف في كتاب الأدب قليل جدا، والله أعلم.

ثانيا- الترجمة بصيغة الاستفهام في كتاب الأدب المفرد.

بالاستقراء التام وجدت في كتاب « الأدب المفرد » ستا وعشرين ترجمة بصيغة الاستفهام، وهي: باب (هل يكنى أباه؟)، باب (هل يقول المولى إني من فلان؟)، باب (هل يعين عبده ؟)، باب (هل يجلس خادمه معه إذا أكل؟)، باب (هل يقول سيدي؟)، باب(هل يكون قول المريض « إني وجع » شكاية ؟)، باب (أين يقعد العائد؟)، باب (هل يكنى المشرك؟)، باب (كيف المشي مع الكبراء وأهل الفضل؟)، باب (كيف تشميت من سمع العطسة؟)، باب (كيف يبدأ العاطس؟)، باب (هل يفلي أحد رأس غيره؟)، باب (هل يسلم الماشي على الراكب ؟)، باب (كيف رد السلام؟)، باب (كيف نزلت آية الحجاب؟)، باب (كيف الاستئذان ؟)، باب (كيف يستأذن على الفرس؟)، باب (كيف الرد على أهل الذمة ؟)، باب (كيف يكتب إلى أهل الكتاب ؟)، باب (كيف يدعو للذمي؟)، باب (كيف يكتب صدر الكتاب؟)، باب (هل يقدم الرجل رجله بين يدي جليسه؟)، باب (هل يقول من أين أقبلت ؟)، باب (أين يضع نعليه إذا جلس؟)، باب (هل يدلي رجليه إذا جلس)، باب (هل يقدم الرجل رجله بين أيدي أصحابه وهل يتكئ بين أيديهم؟) .

وأذكر منها على سبيل المثال خمس تراجم:

الأولى :باب(هل يقول سيدي؟) وقد أخرج فيها حديثا عن أبي هريرة عن النبي قال: « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ: رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَسَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، كُلُّكُمْ مَمْلُوكُونَ، وَالرَّبُّ اللَّهُ .(47)

وأخرج فيها حديثا عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي فقالوا: أنت سيدنا قال: « السيد الله » قالوا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، قال: « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ .(48)

(47) « الأدب المفرد » برقم (210) ص: (110).

(48) « الأدب المفرد » برقم (211) ص: (110).

الثانية : (باب أين يقعد العائد؟) وقد أخرج فيها حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال – سبع مرار –: « أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ » فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه(49). وأخرج فيها أثرا عن الربيع بن عبد الله قال: « ذَهَبْتُ مَعَ الْحَسَنِ إِلَى قَتَادَةَ نَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَسَأَلَهُ ثُمَّ دَعَا لَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْفِ قَلْبَهُ، وَاشْفِ سَقَمَهُ .(50)

الثالثة :(باب كيف رد السلام ؟)، وقد أخرج فيها حديثا عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: بينما نحن جلوس عند النبي في ظل شجرة بين مكة والمدينة إذ جاء أعرابي من أجلف الناس وأشدهم فقال: « السلام عليكم فقالوا: وعليكم ». وأخرج فيها أثرا عن أبي جمرة قال: سمعت بن عباس رضي الله عنهما إذا يسلم عليه يقول: « وعليك ورحمة الله». وأخرج فيها حديثا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله » :يَا عايش هَذَا جِبْرِيلُ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ » قالت: فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى. تريد بذلك رسول الله. وأخرج فيها أثرا عن معاوية بن قرة قال: قال لي أبي يا بني إذا مر بك الرجل فقال: « السلام عليكم ». فلا تقل: « وعليك » كأنك تخصه بذلك وحده ولكن قل: « السلام عليكم.(51)

الرابعة :(باب كيف الاستئذان ؟)، أخرج فيها حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: استأذن عمر على النبي فقال: « السلام على رسول الله السلام عليكم أيدخل عمر؟ .(52)

الخامسة :(باب أين يضع نعليه إذا جلس ؟)، أخرج فيها حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « مِنَ السُّنَّةِ إِذَا جَلَسَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْلَعَ نَعْلَيْهِ فَيَضَعَهُمَا بِجَنْبِهِ .(53)

2. الترجمة المقتبسة.

هي الترجمة التي ليست من صناعة الإمام البخاري. وهذا الاقتباس قد يكون من آية قرآنية أو حديث شريف أو أثر مروي عن الصحابة أو بعض التابعين(54).

(49) « الأدب المفرد » برقم (536) ص (277).

(50) « الأدب المفرد » برقم (537) ص (277).

(51) « الأدب المفرد » الأحاديث رقم (1032، 1033، 1034، 1036) ص (576 ، 577).

(52) « الأدب المفرد » برقم (1085) ص (609).

(53) « الأدب المفرد » برقم (1190) ص (673). قال الشوكاني:" إذا قال [الصحابي] من السنة كذا فإنه لا يحمل إلا على رسول الله وبه قال الجمهور ". « إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول » (1/ 164).

(54) أمين القضاة، وعامر حسن « دراسات في مناهج المحدثين »، ص (38).

إلا أنني لن أعرج إلا على الاقتباس من الآيات القرآنية، والسبب في ذلك أن الترجمة بالأحاديث والآثار كثيرة وظاهرة في الكتابين، وذكرها قد يطول البحث.

الاقتباس من الآيات القرآنية .

يهدف الإمام البخاري من هذا المسلك إلى بيان معنى الآية أو الاستدلال بها لمسألة معينة فيتقوى حكم المسألة بأحاديث الباب إضافة إلى دلالة الآية.(55)

أولا- الاقتباس من الآيات القرآنية في كتاب الأدب من الصحيح.

بالاستقراء التام وجدت فيه عشر تراجم مقتبسة من القرآن(56)، وهي: باب (البر والصلة) وقول الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت: 8]. وباب قول الله تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا [النساء: 85]. وباب قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ [الحجرات: 11] .وباب (الغيبة) وقول الله تعالى: وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ [الحجرات: 12]. وباب قول الله تعالى: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ [الحج: 30]. وباب قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: 90]. وباب (ما ينهى عن التحاسد والتدابر) وقوله تعالى: وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ [الفلق: 5]. وباب قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا [الحجرات: 12]. وباب قول الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 119]. وباب (الصبر على الأذى) وقول الله تعالى: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزمر: 10].

وأذكر منها على سبيل المثال ترجمتين وردتا في كتاب « الأدب المفرد »:

الأولى: باب (البر والصلة) وقول الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت: 8]. وقد أخرج فيه حديثا بسنده قال فيه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا شعبة قال: الوليد بن العيزار أخبرني قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: أخبرنا صاحب هذه الدار، وأومأ بيده إلى دار عبد الله ، قال: سألت النبي: "أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: « الصلاة

(55) الشمالي « الواضح في مناهج المحدثين »، ص (115).

(56) أقول الظاهر أنها ست تراجم لا عشر؛ لأن بعضها ذكرت فيها الآية تبعا ولم تذكر مستقلة. والله أعلم.

على وقتها » قلت ثم أي؟ قال « ثم بر الوالدين » قلت ثم أي؟ قال: « ثم الجهاد في سبيل الله »، قال حدثني بهن ولو استزدته لزادنى".

والثانية: باب (الغيبة) وقول الله تعالى: وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ [الحجرات: 12].

وقد أخرج فيها حديثا بسنده قال فيه: حدثنا يحي حدثنا وكيع عن الأعمش قال: سمعت مجاهدا يحدث عن طاوس عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: مر رسول الله على قبرين فقال: « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من بوله وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ». ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال » :لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا.(57)

ثانيا– الاقتباس من الآيات القرآنية في كتاب « الأدب المفرد ».

فيه ترجمتان فقط مقتبسة من القرآن، وقد ذكرتا في الصحيح كما مر.

الأول: باب قول الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت: 8]. وقد أخرج فيها حديثا بسنده قال فيه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا شعبة قال: الوليد بن العيزار أخبرني قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار، وأومأ بيده إلى دار عبد الله ، قال: سألت النبي: "أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: « الصلاة على وقتها » قلت ثم أي؟ قال « ثم بر الوالدين » قلت ثم أي؟ قال: « ثم الجهاد في سبيل الله »، قال حدثني بهن ولو استزدته لزادنى". وأخرج فيها أثرا بسنده قال فيه: حدثنا آدم قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: « رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد .

والثاني: باب (الغيبة) وقول الله تعالى: وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ [الحجرات: 12].

وقد أخرج فيه حديثا بسنده قال فيه: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا النضر قال: حدثنا أبو العوام عبد العزيز بن ربيع الباهلي قال: حدثنا أبو الزبير محمد، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله، فأتى على قبرين يعذب صاحباهما، فقال: « إنهما لا يعذبان في كبير، وبلى، أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يتأذى من

(57) « صحيح البخاري» (5705) (5/ 2249) دار ابن كثير.

البول »، فدعا بجريدة رطبة، أو بجريدتين، فكسرهما، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر، فقال رسول الله » :أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين، أو: لم تيبسا .(58)

وبالمقارنة والموازنة يظهر الفرق بين البابين في الكتابين، فكلاهما افتتح به كتاب الأدب، وكلاهما بدأ بنفس الترجمة غير أنه – أي الإمام البخاري – ذكر في الأدب من الصحيح ترجمة للباب ثم أردف الآية أما في « الأدب المفرد » فقد جعل الآية هي ترجمة الباب فقط لا غير، بحسب النسخ التي وقفت عليها.(59)

وقد ذكر في الحديث الأول في الصحيح قوله « أخبرنا صاحب هذه الدار » وقال في الأدب: « حدثنا صاحب هذه الدار » ومعلوم أن الإمام البخاري لا يفرق بين الصيغتين (التحديث والأخبار)(60)، وقد ذكر الحديث بنفس الألفاظ.

أما في الباب الثاني وهو قوله: باب (الغيبة). فقد ذكر فرقين جوهريين مهمين، مع أنه ذكر في الكتابين ترجمة للباب ثم أردف بعده آية قرآنية، وهذان الفرقان يتمثلان في الإسناد والمتن أولهما: في شرطه في الكتابين ففي الأدب من الصحيح أخرج الحديث من رواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي « الأدب المفرد » أخرجه من رواية أبي الزبير محمد(61)، عن جابر بن عبد الله. فالأولى على شرطه من حيث الاتصال، والثانية ليست على شرطه، ولذلك لم يخرج الإمام البخاري لأبي الزبير عن جابر مسندا في الصحيح إلا مرة واحدة مقرونا مع عطاء وقد نص الإمام المزي – رحمه الله تعالى– على أنه لم يخرج له إلا مقرونا(62). وأما في « الأدب المفرد » فقد أخرجه له (13) حديثا عن جابر بصيغة العنعنة.

وثانيهما: في ألفاظ الحديث حيث ذكر في لفظ الصحيح قوله: (أما هذا فكان لا يستتر من بوله وأما هذا فكان يمشي بالنميمة)، وذكر في لفظ « الأدب المفرد » قوله: (أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يَتَأَذَّى من البول).

(58) « الأدب المفرد » برقم (735)، ص (256).

(59) « الأدب المفرد » تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت. و« الأدب المفرد » تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

(60) النووي « المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » (1/ 22).

(61) محمد بن مسلم بن تَدْرُس الأسدي مولاهم أبو الزبير المكي صدوق إلا أنه يدلس ومشهور به، توفي سنة (126هـ) روى له الجماعة. ذكر في الطبقة الثالثة من المدلسين. « تقريب التهذيب »، ص (506)، ابن حجر « تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » ، ص (65).

(62) « تهذيب الكمال في أسماء الرجال »(26/ 410)، وحديثه في « صحيح البخاري » كتاب البيوع، باب بيع الثمر على رؤوس النخل بالذهب والفضة، برقم (2077)، قال البخاري: حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر قال: « نهى النبي عن بيع الثمر حتى يطيب ولا يباع منه إلا بالدينار والدرهم إلا العرايا.«

فقوله: « لا يَتَأَذَّى من البول » يفسرها قوله: « لا يستتر من بوله » وقول: « يمشي بالنميمة » بمعنى « يغتاب الناس » وفي هذا الصدد يقول العلامة ابن المنيّر: « بوّب على الغيبة، وذكر النميمة تنبيها على اجتماعهما في المعنى. وهو الذكر بظهر الغيب بما يكره الإنسان أن يذكر عنه. وألحق الغيبة بالنميمة بطريق الأولى، إذ النميمة لا يكون فيها تنقيص. والغيبة لا تخلو منه، فهي أحرم ».(63)

ب- التراجم المرسلة.

وهي المطلقة الغير مقيدة بجملة أو كلمة أو نحوها من آيات قرآنية وآثار مروية، ويكتفي الإمام البخاري بذكر كلمة (باب) ولا يضيف عليها شيئا، وهذا النوع من التراجم يستعمله الإمام البخاري في حالتين:

1. أن يكون مضمون الباب متصلا بالسابق فيكون هذا الباب بمثابة فصل من الباب السابق، وفائدة ذلك التنبيه على ما ورد فيه أو أن هناك فائدة زائدة.

2. أن يكون مضمون هذا الباب مشتمل على فائدة تتصل بأصل الموضوع أي الكتاب الذي تفرعت عنه الأبواب(.([64]

أولا- التراجم المرسلة في كتاب « الأدب » من الصحيح.

لم أجد في كل النسخ التي بحث فيها من نسخ صحيح البخاري(65)، أي باب من كتاب الأدب قد حوى ترجمة مرسلة، ولعل السبب في ذلك أن الترجمة المرسلة خلاف الأصل ثم لعله استعاض عنها بالآيات القرآنية، والله أعلم.

ثانيا- التراجم المرسلة في كتاب « الأدب المفرد ».

ذكر الإمام البخاري في كتاب « الأدب المفرد » عددا من التراجم المرسلة وصلت إلى ثمان تراجم تحديدا، وهي: باب (عيادة الصبيان) وذكر بعده (باب) / باب (دعاء الأخ بظهر الغيب) وذكر بعده (باب) / باب (من حكى كلام الرجل عند العتاب) وذكر بعده (باب) / باب (كيف المشي مع الكبراء وأهل الفضل؟) وذكر بعده (باب) / باب (من كره أن يقعد ويقوم له الناس) وذكر بعده (باب) / باب (ما يقول الرجل إذا خدرت رجله) وذكر بعده (باب) / باب (التسليم بالمعرفة وغيرها) وذكر بعده (باب) / باب (يضع يده تحت خده) وذكر بعده (باب). وأذكر منها على سبيل المثال ترجمتين:

(63) ابن المنير « المتواري على أبواب البخاري »، ص (385) (كتاب الأدب).

(64) عبد الحق المكي « عادات الإمام البخاري في صحيحه » ، ص (78)، أمين القضاة ، وعامر حسن صبري « دراسات في مناهج المحدثين »، ص (41- 42) بتصرف.

(65) نسخة الشيخ مصطفى البغا، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة / بيروت. ونسخة محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة/ القاهرة. ونسخة مؤسسة الرسالة ناشرون / بيروت.

الأولى: جاءت بعد باب (دعاء الأخ بظهر الغيب) والذي أخرج فيه حديثا عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما، عن النبي قال: «أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دُعَاءُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ «.(66)

ثم قال في الباب الذي يليه (باب) وأخرج فيه حديث ابن عمر – رضي الله عنهما- قال: « إِنِّي لَأَدْعُو فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي حَتَّى أَنْ يُفْسِحَ اللَّهُ فِي مَشْيِ دَابَّتِي، حَتَّى أَرَى مِنْ ذَلِكَ مَا يَسُرُّنِي«(67) . ولعل المناسبة ظاهرة هنا وهي الدعاء.

الثانية: جاءت بعد باب (التسليم بالمعرفة وغيرها) والذي أخرج فيه حديثا عن عبد الله بن عمرو، أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الإسلام خير؟ قال: « تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرِئُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ .(68)«

ثم قال في الباب الذي يليه (باب) وأخرج فيه عن أبي هريرة، أن رسول الله نهى عن الْأَفْنِيَةِ وَالصُّعُدَاتِ أن يجلس فيها، فقال المسلمون: لا نستطيعه، لا نطيقه، قال: « أما لا، فأعطوا حَقَّهَا »، قالوا: وما حَقُّهَا؟ قال: « غَضُّ الْبَصَرِ، وَإِرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَرَدُّ التَّحِيَّةِ .(69)«

ولعل المناسبة هنا هو ذكر المستحبات في الترجمة الأولى، وذكر الواجبات في الثاني، وأن رد السلام مطلوب أيضا على من لم تعرف وهو واجب.

ج – التراجم المتشابهة.

من خلال مطالعتي لكتابي الأدب تبين لي أن هناك بعض الأبواب المتشابهة في الكتابين، لذلك سأذكر وأبين هذه الأبواب المتشابهة، وأحاول أيضا أن أجد تفسيرا لهذا التشابه أو التكرار الذي حدث في الكتابين جميعا رغم أن مؤلفهما واحد، ولعلي أستطيع أن أدرج هذه الأبواب تحت مسمى: (أبواب أحاديث وآثار بر الوالدين).

أولاً– كتاب الأدب من الصحيح.

(66) باب (دعاء الأخ بظهر الغيب) الحديث رقم (623) [قال الشيخ الألباني : ضعيف].
(67) باب (...) الحديث رقم (628) [قال الشيخ الألباني : ضعيف].
(68) باب (التسليم بالمعرفة وغيرها) الحديث رقم (1013) [قال الشيخ الألباني: صحيح].
(69) باب (...) الحديث رقم (1014) [قال الشيخ الألباني: صحيح].

وفيه العناوين التالية: باب (البر والصلة) وقول الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت: 8]./ (باب من أحق الناس بحسن الصحبة) / (باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين) / (باب لا يسب الرجل والديه) / (باب إجابة دعاء من بر والديه) / (باب عقوق الوالدين من الكبائر) / (باب صلة الوالد المشرك) / (باب صلة المرأة أمها ولها زوج).

ثانياً- كتاب الأدب المفرد.

فيه العناوين التالية: باب قول الله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا/ باب بر الأم / باب بر الأب / باب لين الكلام لوالديه / باب جزاء الوالدين / باب عقوق الوالدين / باب لعن الله من لعن والديه / باب يبر والديه ما لم يكن معصية / باب من أدرك والديه فلم يدخل الجنة / باب من بر والديه زاد الله في عمره / باب لا يستغفر لأبيه المشرك / باب بر الوالد المشرك / باب لا يسب والديه / باب عقوبة عقوق الوالدين / باب بكاء الوالدين / باب دعوة الوالدين / باب عرض الإسلام على الأم النصرانية / باب بر من كان يصله أبوه / باب لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ نورك / باب الود يتوارث / باب لا يسمى الرجل أباه ولا يجلس قبله ولا يمشى أمامه / باب هل يكنى أباه.

وبالنظر والمقارنة والموازنة بين هذه الأبواب في الكتابين تجد أن الإمام البخاري كأنه يشرح أبواب كتاب الأدب في الصحيح بأبواب كتاب « الأدب المفرد ».

فمثلاً في كتاب الأدب من الصحيح قال: (باب من أحق الناس بحسن الصحبة) ثم أخرج فيه عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال « أمك ». قال ثم من ؟ قال « ثم أمك ». قال ثم من؟ قال « ثم أمك ». قال ثم من ؟ قال « ثم أبوك.«

وفي كتاب « الأدب المفرد » قال: (باب بر الأم) وأخرج فيه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت : يا رسول الله من أبر قال: « أمك ». قلت من أبر قال « أمك ». قلت من أبر قال « أمك ». قلت من أبر قال « أباك ». ثم الأقرب فالأقرب.

وفي الباب بعده قال: (باب بر الأب) وأخرج فيه عن أبي هريرة قال قيل : يا رسول الله من أبر ؟ قال « أمك » قال ثم من قال « أمك » قال ثم من قال « أمك » قال ثم من قال « أباك.«

وفي الباب بعده قال: (باب لين الكلام لوالديه) وأخرج فيه عن أثرا عن ابن عمر سأل رجلا أحي والداك ؟ قال: عندي أمي قال: « فوالله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر .«

وفي الباب بعده قال: (باب جزاء الوالدين) وأخرج فيه عن أبي هريرة عن النبي قال: « لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه.«

ففي باب كتاب الأدب من الصحيح جاء الأمر عاما بحسن الصحبة للوالدين ثم بينه بالحديث في الباب ثم زاد الأمر وضوحا فبوب في الأدب المفرد بابا خاصا للأم، ثم الأب وقدمها عليه، ثم بين في الباب بعدها بأثر ابن عمر أن حسن الصحبة يكون ماديا ومعنويا ثم بين أن حسن الصحبة لا يوفي الوالدين حقهم إلا أن يجدهما مملكين أو أحدهما فيشترهما فيعتقهما، والله أعلم.

وبالمقارنة والموازنة بين أبواب أخرى تجد أنه قال في كتاب الأدب من الصحيح: (باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين) وأخرج فيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي أجاهد ؟ قال: «لك أبوان » . قال نعم قال: «ففيهما فجاهد».

وفي كتاب «الأدب المفرد » قال: (باب عقوق الوالدين) وأخرج فيه عن أبي بكرة قال: قال رسول الله » :ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ » ثلاثا قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا؛ ألا وقول الزور» ما زال يكررها حتى قلت ليته سكت.

وفي باب آخر قال: (باب بير والديه ما لم يكن معصية) وأخرج فيه أثرا عن أبي الدرداء قال: «أوصاني رسول الله بتسع لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدا ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما....«

وفي باب آخر قال: (باب عقوبة عقوق الوالدين) وأخرج فيه حديثين الأول: عن أبي بكرة عن النبي قال: « ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له من البغي وقطيعة الرحم ». والثاني: عن عمران بن حصين قال، قال رسول الله » :ما تقولون في الزنى وشرب الخمر والسرقة قلنا الله ورسوله أعلم قال هن الفواحش وفيهن العقوبة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الشرك بالله وعقوق الوالدين » وكان متكئا فَاحْتَفَزَ قال: « والزور ».

وفي باب آخر قال: (باب بكاء الوالدين) وأخرج فيه أثرا عن ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول: « بكاء الوالدين من العقوق والكبائر.«

ففي باب كتاب الأدب من الصحيح جاء النهي عن الجهاد من غير إذن الوالدين؛ ثم بيّن في كتاب « الأدب المفرد » أن عدم إذن الوالدين من العقوق وهو من الكبائر بل من أكبرها ثم ذكر عقوبة ذلك ثم بين بأثر ابن عمر أن مجرد بكاء الوالدين من العقوق والكبائر.

وبالمقارنة والموازنة بين أبواب أخرى تجد أنه قال في كتاب الأدب من الصحيح: (باب لا يسب الرجل والديه) ثم أخرج فيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله » إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ». قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه .«

وفي كتاب «الأدب المفرد » قال: (باب لا يسب والديه) وأخرج فيه عن عبد الله بن عمرو أيضا قال: قال النبي » : من الكبائر أن يشتم الرجل والديه » فقالوا كيف يشتم ؟ قال: « يشتم الرجل فيشتم أباه وأمه .«

وفي باب آخر قال: (باب لعن الله من لعن والديه) وأخرج فيه عن أبي الطفيل قال: سئل علي هل خصكم النبي بشيء لم يخص به الناس كافة؟ قال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يخص به الناس؛ إلا ما في قراب سيفي ثم أخرج صحيفة فإذا فيها مكتوب «لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من سرق منار الأرض لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثا.«

ففي كتاب الأدب من الصحيح جاء النهي في الباب عن سب الوالدين وذكر في الحديث اللعن بسبب السب. بينما في كتاب « الأدب المفرد » ذكر في الباب النهي عن السب وعبر عنه في الحديث بالشتم وذكر في الباب الآخر وعيد لعن من لعن والديه، وقد ذكره بالنص في الحديث.

فالتبويب واحد وسبب اختلاف ألفاظ الحديث هي الأسانيد ففي كتاب الأدب من الصحيح أخرج الحديث من حديث «إبراهيم بن سعد عن أبيه عن حميد» وفي الأدب المفرد أخرجه من حديث « سفيان عن سعد بن إبراهيم عن حميد ». وهذه الفوائد والفرائد أظنها قد تكررت في أبواب أخرى كـ« باب صلة الوالد المشرك » و« باب صلة المرأة أمها ولها زوج » من كتاب الأدب من الصحيح جاءت مبينة وموضحة في كتاب الأدب المفرد وذلك في « باب بر الوالد المشرك » و« باب عرض الإسلام على الأم النصرانية » و« باب بر من كان يصله أبوه » و« باب لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ نورك » و« باب الود يتوارث » و« باب لا يسمى الرجل أباه ولا يجلس قبله ولا يمشى أمامه » و«باب هل يكنى أباه ».

أبواب)الأحاديث والآثار الواردة في صلة الرحم.(

أولاً- كتاب الأدب من الصحيح.

وفيه العناوين التالية: باب صلة الأخ المشرك / باب فضل صلة الرحم / باب إثم القاطع / باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم / باب من وصل وصله الله / باب تبل الرحم ببلالها / باب ليس الواصل بالمكافئ / باب من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم.

ثانياً- كتاب الأدب المفرد.

وفيه العناوين التالية: باب وجوب وصلة الرحم / باب صلة الرحم / باب صلة الرحم تزيد في العمر / باب من وصل رحمه أحبه الله / باب بر الأقرب فالأقرب / باب لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم / باب إثم قاطع الرحم / باب عقوبة قاطع الرحم في الدنيا / باب ليس الواصل بالمكافىء / باب فضل من يصل ذا الرحم الظالم / باب من وصل رحمه في الجاهلية ثم اسلم / باب صلة ذي الرحم المشرك والتهدية / باب تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم / باب هل يقول المولى إني من فلان / باب مولى القوم من أنفسهم.

(أبواب الأحاديث والآثار الواردة في الرحمة).

أولاً- كتاب الأدب من الصحيح.

وفيه العناوين التالية: باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها /باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته/باب جعل الله الرحمة في مائة جزء/باب قتل الولد خشية أن يأكل معه / باب وضع الصبي في الحجر / باب وضع الصبي على الفخذ/باب حسن العهد من الإيمان / باب فضل من يعول يتيما / باب الساعي على الأرملة / باب الساعي على المسكين / باب رحمة الناس والبهائم.

ثانيا- كتاب الأدب المفرد.

وفيه العناوين التالية: باب من عال جاريتين أو واحدة / باب من عال ثلاث أخوات / باب فضل من عال ابنته المردودة / باب من كره أن يتمنى موت البنات / باب الولد مبخلة مجبنة / باب حمل الصبي على العاتق / باب الولد قرة العين / باب من دعا لصاحبه أن أكثر ماله وولده / باب الوالدات رحيمات / باب قبلة الصبيان / باب أدب الوالد وبره لولده / باب بر الأب لولده / باب من لا يرحم لا يرحم / باب الرحمة مائة جزء.

(أبواب الأحاديث والآثار الواردة في الجار)

أولاً- كتاب الأدب من الصحيح.

وفيه العناوين التالية: باب الوصاءة بالجار / باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه / باب لا تحقرن جارة لجارتها / باب «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» / باب حق الجوار في قرب الأبواب.

ثانيا- كتاب الأدب المفرد.

وفيه العناوين التالية: باب الْوَصَاةِ بالجار / باب حق الجار / باب يبدأ بالجار / باب يهدى إلى أقربهم بابا / باب الأدنى فالأدنى من الجيران / باب من أغلق الباب على الجار / باب لا يشبع دون جاره / باب يكثر ماء المرق فيقسم في الجيران / باب خير الجيران / باب الجار الصالح / باب الجار السوء / باب لا يؤذى جاره / باب لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة / باب شكاية الجار / باب من آذى جاره حتى يخرج / باب جار اليهودي / باب الكرم / باب الإحسان إلى البر والفاجر.

ولك أن تقارن بين (أبواب أحاديث وآثار اليتيم). و(أبواب أحاديث وآثار الضيف). و(أبواب أحاديث وآثار عيادة المريض). و(أبواب أحاديث وآثار السلام). و(أبواب أحاديث وآثار الأسماء). و(أبواب أحاديث وآثار الشعر). و(أبواب أحاديث وآثار الاستئذان)، و(أبواب أحاديث وآثار العطاس) كل ذلك مع الأبواب الواردة في كتاب الأدب من الصحيح فستجدها — في نظري – ليست تكرارا لها فحسب بل فيها البيان والتبين والفوائد والفرائد والنكت في الأبواب والأسانيد والمتون.

جدير بالذكر أن الإمام البخاري – رحمه الله – قد جعل في الصحيح كتابا خاصا بالاستئذان، إلا أنه بين فروعه في الأدب المفرد، فبعد الاطلاع والموازنة بين كتاب الأدب المفرد وكتاب الاستئذان في الجامع الصحيح تبين لي أن الإمام البخاري – رحمه الله – ضمَّن كتاب الأدب المفرد كل كتاب الاستئذان وهذا يظهر من المقارنة بين أبواب الكتابين والأحاديث والآثار الواردة فيهما، ومعلوم أن المناسبة بين الأدب والاستئذان ظاهرة وواضحة.

ثم إن هذه الأمور والمناسبات لا يدركها إلا من أنعم النظر في الكتابين وكانا نصب عينيه ينظر فيهما بتركيز كبير، والله أعلم.

المطلب الثاني: منهج الإمام البخاري في الأسانيد والحكم عليها

أولاً- كتاب الأدب من الصحيح.

أسانيده صحيحة متصلة بل هي من أعلى درجات الصحيح كما تقدم في شرطه فلا يكتفي بالعنعنة دون اللقاء، ولا بالعنعنة دون التصريح بالسماع من المدلس. وأما الحكم على الأحاديث المتصلة فلم يفعل ذلك في كتاب الأدب من الصحيح بل ولم يفعل ذلك في الصحيح كله.

ثانيا- كتاب « الأدب المفرد ».

أسانيده فيها الصحيح والحسن والضعيف كما تقدم في شرطه ولا يشترط الاتصال في السند ويكتفي أحيانا بعنعة المدلس دون التصريح بالسماع لذلك ذكر نسخة أبي الزبير عن جابر بن عبد الله كما تقدم، وأما الحكم على الأحاديث فقد فعل ذلك في خمسة أحاديث حكم عليها بقوله: " في إسناده نظر " أو " أثبت ما يروى في هذا الباب" أو " أصح ما يروى في هذا الباب". نذكر منها مثالين:

الأول: حديث أنس بن مالك قال: قال رجل: يا رسول الله، إنا كنا في دار كثر فيها عددنا، وكثر فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى، فقل فيها عددنا، وقلت فيها أموالنا؟ قال رسول الله » :ردها، أو دعوها، وهي ذميمة ». قال أبو عبد الله: في إسناده نظر.(70)

الثاني: حديث أبي هريرة، عن النبي قال: « إذا عطس فليقل: الحمد لله، فإذا قال فليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديك الله ويصلح بالك ». قال أبو عبد الله: « أثبت ما يروى في هذا الباب هذا الحديث الذي يروى عن أبي صالح السمان ».(71)

الثالث: حديث ثوبان مولى رسول الله ، أن النبي قال: « لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل. ولا يؤم قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم حتى ينصرف. ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف » قال أبو عبد الله: « أصح ما يروى في هذا الباب هذا الحديث ».(72)

(70) « الأدب المفرد » برقم (918) ص (316) وقال الألباني: « حسن ».

(71) « الأدب المفرد » (باب ما يقول إذا عطس) برقم (921) ص (317) وقال الألباني: « صحيح ».

(72) « الأدب المفرد » (باب النظر في الدور) برقم (1093) ص (375) وقال الألباني: « صحيح دون جملة الإمامة ».

المطلب الثالث: خلاصة الموازنة بين الكتابين.

وهي مبينة في الجدول التالي:

ر	الموازنة من جهة	في كتاب الأدب من الصحيح	كتاب الأدب المفرد
.1	الاسم	كتاب الأدب	كتاب الأدب المفرد تمييزا له عن كتاب الأدب في الجامع الصحيح
.2	وصف الكتاب	عدد الصفات (469) صفحة افتتحه بباب البر والصلة وقوله تعالى{ ووصينا الإنسان بوالديه حسنا} .	عدد الصفات (84) صفحة افتتحه بباب قوله تعالى { ووصينا الإنسان بوالديه حسنا }.
.3	الشرط	شروط الجامع الصحيح العامة والخاصة	شرطه أن لا يخرج حديث الكذاب والمتهم والمتروك وشديد الغفلة
.4	نسبة الالتزام بالشرط	تقريبا (99 %)	تقريبا (98 %)
.5	الهدف	جمع بعض ما صح من أحاديث الأدب	جمع أكبر قدر من أحاديث الأدب وإن لم تصح
.6	أنواع الأحاديث	لم يخرج إلا الحديث الصحيح	خرج الأنواع الثلاثة الصحيح والحسن والضعيف.
.7	منهج الجمع	منهجه في الجمع كيفي مشروط بالصحيح لا كمي	منهجه في الجمعي كمي مشروط بأن لا ينزل عن الضعيف.
.8	شرط الأسانيد المعنعن	يشترط اللقاء والتصريح بالسماع في الباب أو الكتاب أو الجامع	لا يشترط التصريح بالسماع في الباب ولا الكتاب.
.9	حكمه على الحديث	لا يحكم على الأحاديث المتصلة مطلقا	يحكم أحيانا فقد حكم على (5) أحاديث
.10	عدد الأبواب	(128) بابا	(644) بابا
.11	عدد الأحاديث	(160) حديثا	(939) حديثا
.12	عدد الآثار	(11) أثرا	(383) أثرا
.13	التراجم بالاستفهام	(3) ترجمة	(26) ترجمة
.14	التراجم بالقرآن الكريم	(10) تراجم	ترجمتان
.15	التراجم المرسلة	لا يوجد	(8) تراجم
.16	التراجم بصفة عامة	قليلة	كثيرة كالبيان والشرح لتراجم الأدب من الصحيح
.17	من حيث الشروح	شرح شرحا جيدا	لم يشرح شرحا جيدا

المطلب الرابع: خدمة العلماء لهما، وما وجه لهما من نقد وجواب ذلك.

أولا – مختصراتهما وشروحهما.

1. مختصرات وشروح الأدب من الصحيح.

1-مختصرات كتاب الأدب من الصحيح.

معلوم أن لصحيح البخاري مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر صحيح البخاري لأحمد، زين الدين الزبيدي (ت:893هـ) المسمى بـ« التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح » طبع كثيرا ومن بين من طبعه مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، (1430هـ/ 2009م) في مجلد واحد وقد اعتنى به وخرج أحاديثه كل من:

حسن عبد المنعم شلبي، كسرى صالح العلي. وقد اختصر كتاب الأدب ضمنا، جديرا بالذكر أن الإمام الزبيدي قد حذف الأبواب في كل الكتب ولم يذكر من أحاديث كتاب الأدب إلا (51) حديثا، استدرك عليه الشيخ عمر ضياء الدين الداغستاني نزيل مصر (ت: 1340هـ)، في كتابه (زوائد الزبيدي الذي طبع في الإسكندرية 1336هـ) استدرك عليه فيه ثلاثة أحاديث.

ولا أعلم أن أحدا قد أفرد كتاب الأدب من الجامع الصحيح واختصره. وقد شرح مختصر الزبيدي العلامة صديق حسن خان (ت:1307هـ/1890م) والشيخ عبد الكريم الخضير« معاصر».

2-شروح كتاب الأدب من الصحيح.

أغلب من شرح صحيح البخاري شرح كتاب الأدب ومن أشهر هذه الشروح وأنفعها فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (852 هـ) وهناك شروح أخرى، وهناك من أهل العلم المعاصرين من شرح كتاب الأدب من الصحيح تحديدا، لكن على هيئة دروس في المساجد كالشيخ علي بن محمد بن عبد العزيز الهندي ضمن دروس الحرم المكي(73)، والله أعلم.

2. مختصرات وشروح كتاب « الأدب المفرد ».

1-مختصرات كتاب الأدب المفرد.

لا أعلم له اختصارات إلا ما كان من كتاب « صحيح الأدب المفرد » وكتاب « ضعيف الأدب المفرد » كلاهما للشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله، نشرتهما: دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل / السعودية وكلاهما الطبعة: الرابعة، (1418 هـ/ 1997 م)، والضعيف سنة (1419 هـ/ 1998 م).

ثم أعادت دار الصديق طباعة الكتاب كاملا من غير اختصار مع أحكام الشيخ الألباني وكانت آخر طبعة الطبعة السابعة، (1434 هـ - 2013 م) وخيرا ما فعلت فقد أصبحت كلها في كتاب واحد، جدير بالذكر أن الشيخ الألباني كان اختصاره للكتاب عبارة عن حذف الأسانيد فهو لم يحذف المكررات.

2-شروح كتاب « الأدب المفرد ».

هناك ثلاثة شروح لكتاب الأدب المفرد – فيما أعلم:

(73) شبكة المعلومات [IslamHouse.com/172373]. بتاريخ ((2008-08-10)).

الأول: بعنوان « فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفر » للشيخ فضل الله الجيلاني، (المطبعة السلفية مصورا عن طبعة القاهرة 1378) والكتاب منشور على الشبكة. يتميز الشرح بتعليقات مفيدة في السند والمتن، ولكن المصنف ترك كثيرا من الأحاديث دون شرح.

الثاني: بعنوان « رش البرد شرح الأدب المفرد »، للدكتور محمد لقمان السلفي، (طبعة دار الداعي الرياض: الطبعة الثالثة 1428). شرح جميع المتن ولكن شرحه أشبه بالحاشية، فهو شرح مفردات المتن، ولكنه لم يتطرق إلى الأسانيد ولا إلى علاقة الأحاديث بالأبواب، وفي هذا الشرح أخطاء كثيرة في المتن.

الثالث: بعنوان « شرح صحيح الأدب المفرد » للشيخ حسين بن عودة العوايشة، وبه أخطاء في تحقيق نص المتن، وهو مطول وبه فوائد، يكثر الشارح من النقول، ويعاب عليه اختيار صحيح الأدب المفرد فقط، فبذلك قد ترك جزءا من الكتاب وخالف منهج الإمام البخاري واختياره في وضع الكتاب.

والظاهر في نظري أن كتاب « الأدب المفرد » لم يجد حظه من الشرح الجيد حتى الآن، والله أعلم.

ثانيا- وما وجه لهما من نقد وجواب ذلك.

1. كتاب الأدب من الصحيح وما وجه له من نقد وجوابه.

انتقد الإمام الدارقطني – رحمه الله – خمسة أحاديث من كتاب الأدب في كتابه « التتبع »(74)، وانتقد الإسماعيلي حديثا واحد، وقد ذكرها الحافظ في كتابه « هُدَى الساري »(75)، وأجاب على الاعتراض عليها بما لا يزيد عن سطر أو سطرين مما يدل على أنها انتقادات يسيرة وسهلة، أذكر منها هنا مثلا:

قال الإمام الدارقطني رحمه الله وأخرج البخاري (6103) حديث علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله قال: « إذا قال الرجل لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما ». وقال عكرمة بن عمار عن يحيى عن عبد الله بن يزيد سمع أبا سلمة سمع أبا هريرة. قال الدارقطني: يحيى بن أبي كثير مدلس يشبه أن يكون، وقول عكرمة أولى لأنه زاد رجلا وهو ثقة.

قال الحافظ ابن حجر: قد أخرج البخاري طريق عكرمة تعليقا فهو عنده على الاحتمال، والله أعلم.

2. كتاب الأدب المفرد وما وجه له من قد وجواب ذلك.

(74) « الإلزامات والتتبع » للإمام الدارقطني، الصفحات (126) و(171) و(184) و(185) و(217).

(75) الفصل الثامن (من الحديث التسعون وحتى الحديث الخامس والتسعون)، ص (378 – 379).

يظهر من تصرفات بعض أهل العلم، والذين لا يرون في الأحاديث والآثار الضعيفة حكما أو عملا؛ أنهم ينتقدون ويعيبون على الإمام البخاري "وهو من هو؟" عدم تنقية كتابه « الأدب المفرد » من الأحاديث والآثار الضعيفة.

أقول: وهذا الاعتراض مردود كما تقدم في النبذة المختصرة عن الكتاب في المبحث الأول وأزيد هنا قائلا: إن كتاب «الأدب المفرد» برهان قوي على أن الإمام البخاري يقول بجواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال.

ولا يرد على ذلك كتاب الأدب من الصحيح؛ لأن ذلك كان مشروطا بالصحيح لذلك لم يذكر فيه حتى الحسن. فلا يعترض عليه بأنه أخرج الحديث الضعيف في كتاب « الأدب المفرد » إذ أن ذلك كان منهجا ومذهبا، وقد تبنى ذلك بعض أهل العلم كما تقدم، { وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا }[البقرة: 148]، والله أعلم.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف الرائع والممتع بين كتابي الأدب للأمام البخاري رحمه الله ، أطلعت على أغلب ما فيها من أبواب وأسانيد وأحاديث كتبت بمناهج عميقة، بينت مدى ذكاء ومهارة هذا الإمام الفذ في الجمع والترتيب والتبيين، توصلت إلى مجموعة من النتائج، لعلي أذكر أهمها إضافة إلى توصية مهمة في نظري.

أولا– أهم النتائج:

1. يختلف منهج الإمام البخاري في كتابه « الأدب المفرد » عن منهجه في كتابه الأدب من الصحيح اختلافا جذريا وذلك من حيث الشرط وأنواع الحديث .

- من حيث الشرط لم يشترط الصحة والاتصال في « الأدب المفرد » واشترط ذلك في الأدب من الصحيح.
- لم يشترط نوعا واحدا من أنواع الحديث في كتاب « الأدب المفرد » واشترط ذلك في كتاب الأدب من الصحيح.
- المنهج الذي سلكه الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد كان منهجا كميا قائما على جمع أكبر قدر من أحاديث الأدب والأخلاق، وهذا يفسر وجود الضعيف فيه، بخلاف كتاب الأدب من الصحيح.

2. لعل قلة الأبواب المرسلة في الأدب من الصحيح مرده إلى التبويب بالأبواب المقتبسة من القرآن الكريم، بخلاف كتاب الأدب المفرد.

3. ترجح عندي أن كتاب الأدب المفرد كالشرح لكتابي الأدب والاستئذان اللذين في الجامع الصحيح، وهذا الذي يفسر كثرة الأبواب فيه، ولعل البخاري من أوائل من شرح ووضح السنة بالسنة، والله أعلم.

4. كتاب الأدب المفرد ما زال بحاجة إلى شرح كبير يظهر غزير ما فيه من الفوائد والفرائد، بخلاف كتاب الأدب من الصحيح فقد نال حظه تقريبا، والله أعلم.

ثانيا– أهم التوصيات:

إن كتاب الإمام البخاري الأدب المفرد جدير بالاهتمام دراسة وتدريسا وشرحا، لذلك أرى أن يشرح الكتاب من قبل أهل العلم شرحا وافيا، يفسر غريبه، يبين مشكله، ويوضح مقصوده، لو أضيف له كتابا الأدب والاستئذان اللذين في الصحيح لكان حسنا جدا، فهو منهج حياة من الواجب أن يسير عليها المسلمون.

أهم المصادر والمراجع:

أولا– القرآن الكريم بـ(رواية حفص عن عاصم الكوفي).

ثانيا– الكتب الأخرى.

1. الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: سمير الزهيري، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

– الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر، بيروت.

2. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عناية، الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ / 1999 م.

3. الإلزامات والتتبع: لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت: 385هـ)، تحقيق: مقبل ابن هادي الوداعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1405 هـ/ 1985م.

4. الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح: بقلم نور الدين عتر، الناشر دار البصائر/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

5. الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح: لعبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية – العدد الرابع ربيع الثاني 1390هـ.

6. الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين: نور الدين عتر، الناشر دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م.

7. تدريب الراوي شرح تقريب النواوي: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:911هـ) تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة ،الرياض.

8. تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين النووي (ت: 676هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت.

9. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن الزكي أبي الحجاج المزي (ت: 742هـ) تحقيق: بشار عواد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400 هـ/ 1980م.

10. الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري): لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ) تحقيق: مصطفى البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة / بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ/ 1987م.

11. جزء فيه ترجمة البخاري: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ) تحقيق: أبو هاشم إبراهيم بن منصور الهاشمي الأمير، مؤسسة الريان، ط1، 1423 هـ /2002 م.

12. الحطة في ذكر الصحاح الستة: لصديق حسن القنوجي، دار النشر، دار الكتب التعليمية، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

13. دراسات في مناهج المحدثين: لأمين محمد القضاة، وعامر حسن صبري، الناشر: مكتبة جهينة، عمان، الطبعة الأولى 1432هـ/ 2011م.

14. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: لمحمد بن جعفر الكتاني (ت: 1345هـ)، تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: السادسة 1421هـ/2000م.

15. زوائد كتاب الأدب المفرد على الكتب الستة « رسالة ماجستير » لصالح إسماعيل حاج محمد، نوقشت عام (1412هـ)، في جامعة أم القرى بمكة.

16. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد ابن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985م.

17. شروط الأئمة الخمسة: لأبي بكر الحازمي (ت: 584هـ) الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

18. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: قام بتجريده محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر

والتوزيع، الجبيل، السعودية، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ / 1997م.

19. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:261هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

20. ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري: قام بتجريده محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل، السعودية، الطبعة: الرابعة، 1419 هـ / 1998م.

21. عادات الإمام البخاري في صحيحه: لعبد الحق بن عبد الواحد الاهاشمي (ت: 1393هـ)، تحقيق: محمد العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1432هـ/2011 م.

22. علوم الحديث: لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، ابن الصلاح (ت: 643هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر / بيروت، 1406هـ - 1986م.

23. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت:852هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

24. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد: لفضل الله الجيلاني، الناشر المطبعة السلفية.

25. المتواري علي تراجم أبواب البخاري: لناصر الدين ابن المنير الاسكندري (ت:683هـ)، تحقيق صلاح الدين مقبول ، الناشر مكتبة المعلا، الكويت ، سنة 1407هـ - 1987م.

26. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا (ت: 395 هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: 1423 هـ / 2002م.

27. مناهج المحدثين العامة والخاصة: لعلي نايف البقاعي، دار البشائر الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1432هـ/2011م.

28. منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح: لأبي بكر كافي، إشراف الدكتور حمزة عبد الله المليباري، دار ابن حزم.

29. منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط3، 1418هـ -1997م.

30. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) تحقيق وتعلق عليه: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الثالثة،1421هـ / 2000 م.

31. النكت على مقدمة ابن الصلاح: لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1404هـ/1984م.

32. هدى الساري لمقدمة فتح الباري: لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، الناشر دار المعرفة، مكان النشر، بيروت، سنة النشر 1379هـ.

33. الواضح في مناهج المحدثين: لياسر الشمالي، دار ومكتبة الحامد، عمان، ط3، 2006م.

ثالثا– المواقع الإلكترونية.

- شبكة المعلومات / الموسوعة الحرة // الرابط : (http://ar.wikipedia.org).
- شبكة المعلومات موقع إسلام هاوس (172373/IslamHouse.com).